القبيحة جيلة هذا فضلاً عن ادوية اخرى يخجل القلم من ذكر الاوصاف التي توصف بها. ولم نسمع مرة واحدة ان البوليس تعرض لاحد هؤلاء الغشاشين ضبط ما يوزع من هذه الاوراق البذيئة ومنع اصحابها من طبع مثلها ثانية على عظم ضررها بالاخلاق

ثم اننا عاشرنا كثيرين من مهرة الاطباء فرأينا الشبان منهم يكثرون من وصف الادوية حتى لقد يغيرون للمريض الواحد دواءين او ثلاثة في اليوم، والشيوخ من الاطباء الذي مارسوا صناعة الطب سنين كثيرة يقللون من وصف الادوية وقلما لا يصفون شيئاً منها بل يكتفون بوصف الوسائل الهيجينية كالاعتدال في الطعام والشراب. ونحن وجدنا بالاختبار مدة خمس سنة او اكثر ان الصوم والنوم خير ما يُستشفى به ورأينا في غيرنا ان اكثارهم من تناول الادوية المستحضرة اضعف اجسامهم وقلل مقاومتها للامراض

الصناعات في سوريا ولبنان

(٤)

(١٤) الأثمار وحفظها

على السهول الساحلية وساحل البحر والهضاب الداخلية حيث يستطاع سقي الارض تزكو أنواع شتى من اشجار الفاكهة مثل برتقال طرابلس وصيدا الشهي ومشمش دمشق وبعلبك وحماة الفاخر المذاق الناعم الملمس والتين الابيض اللذيذ في بيت مري وعمشيت وعشقوت وبلاد بشاره والشقيف ودراقن الوبداني وتفاح تعنايل وبكفيا وبشرّي الذكي الرائحة وكذا برقوقها وفستق حلب ذي الاريج العطري والعنب على انواعهِ. وعدا الانواع المشهورة السالفة الذكر فانهُ يزرع في سوريا أيضاً شجر الليمون والكثرى والسفرجل والبندق واللوز والموز والخروب و « البشملة »

ان تكاثر طلب الفاكهة في الاسواق الاوربية والمصرية يجب ان يحث السوريين على السعي في اتقان زراعة بعض هذه الأثمار التي تناظر في شكلها ونوعها اجود ما تخرجهُ اسبانيا وايطاليا وكليفورنيا. ويجب ان تتبع خطة منظمة في تحسين هذه

الزراعة بعد البحث الدقيق في حالة التربة والاقليم الموافق لكل ضرب من هذه الاشجار. فالاراضي التي يمتلكها نجيب بك سرسق في عميق والاطيان التي يمتلكها الآباء اليسوعيون في تعنايل واراضي بكفيا وأصحابها هم امراء ابي اللمع وضيعة الحكومة في السلمانية كل هذه ستكون ذات اثر كبير في تسهيل ما يعمل من التجارب والمباحث لبلوغ هذا الغرض

ويجدر تخصيص الانحاء المشمسة من السهول ومن السواحل المتاخمة لشاطىء البحر لزراعة البرتقال واليوسف افندي والموز واما ما يعلو عن تلك من الاراضي فيقتصر فيه على زراعة الفواكه الاخرى التي تستطيع احتمال هواء اكثر برداً

تقدم القول ان المزارعين من ايام الحرب جعلوا دأبهم قطع اشجار التوت أما لانخاذ خشبه وقوداً او لغرس أشجار اخرى بدله فمن الواجب اقلاعهم عن هذا العمل والا نجم عنهُ ضرر جم بتربية دود القز وذلك مما يدعو الى الاحتفاظ باشجار التوت في المناطق التي يسمح ارتفاعها بجودة نموه واما في الجهات الاخرى فيلزم ألاَّ يستبدل بشجر آخر الا اذا ارتئى عليه فيما ينتجهُ وتحققت فائدتهُ

وفواكه سوريا ما خلا البرتقال والليمون تكاد تستهلك باجمعها حيث تزرع فلا يصدر منها الاَّ النزر اليسير مع انهُ ينبغي السعي لبيعها في أسواق مصر وغيرها من البلاد . فالاشجار التي لا يمكن تصديرها وهي نضرة اما لسرعة عطبها بالطبيعة أو لتفاهة ثمنها في الاسواق كالمشمش والتين والعنب يستطاع تجفيفها لتؤكل في الشتاء سواء في سوريا أو في الممالك الاجنبية وهذا مما يدعو الى انشاء معامل لحفظ الفاكهة في جميع المراكز المهمة التي اشتهرت بحدائق الفاكهة . ويوجد من هذا النوع مصنع في دمشق الاَّ ان ما يخرجهُ أقرب الى انواع الحلوى زد على ذلك ان اثمانها المرتفعة لا تسمح باستهلاكها بنفس الكثرة فيما لو كانت فاكهة مجففة

وهناك صناعة اخرى تماثل صناعة حفظ الفاكهة من الواجب احياؤها وهي حفظ الخضر النضرة كالهليون واللوبياء والخس والخرشوف والباذنجان والخيار والبصل والكراث وكلتا الصناعتين ستكونان معيناً جديداً للثروة في سوريا علاوة على مزاياها الاخرى وهي تمكين السوريين من استهلاك محاصيل في غير اوانها بثمن رخيص بدل ان يستوردوها من البلاد الاجنبية باسعار عالية

(١٥) الغابات

اتفق المؤرخون على ان سوريا كانت فيما مضى غنية بغاباتها وكانت جبالها مكسوة بالاحراش المختلفة الاشجار الجيدة الصنف كالارز والصنوبر والسرو والمرخار والبلوط والشربين والجميز. وكان لبعض هذه الغابات أهمية كبيرة عند الامم الاجنبية فملوك مصر واشور وبابل وفارس بعد فتحهم لسوريا تقاضوا جزيتهم من أخشابها وكان أفضلها لديهم الارز لطيب رائحته وطول احتماله ومقاومته للبلى. وقد ارسل سليمان الحكيم ١٠٠٠٠ عامل الى الملك حيرام لقطع الاشجار من غابات لبنان واستعمال خشبها الثمين في تشييد معبد بيت المقدس وقد اندثرت الآن غابات الارز ألا بعض اشجار هنا وهناك على القنن العالية التي يبلغ ارتفاعها زهاء الالفي متر في بشري وسير والحدث واهدن وجزين والباروك وكان هذا هو أيضاً مصير فصائل اخرى من الاشجار العطرية لم يبق منها الا غابات نادرة

يعزى تلف تلك الغابات الجميلة الى ما اجتاح سوريا من الحروب والغزوات والى قلة ادراك الحكومات المختلفة التي استعملت الاخشاب في أحواض السفن بصيدا وجبيل وطرابلس الا انهُ أبان سيطرة الرومان عليها في عهد الامبراطور أدريان عني بامر الغابات ونظم اقتطاع اخشابها ويتبين مما نقش على صخور الجبال من الكتابة التي يستطاع قراءتها الى الآن ان حكومة ذلك الوقت اختصت نفسها بأربعة اصناف من الاشجار وسمحت للشعب بقطع ما تبقى

ولما ان أخلى الرومان سوريا عدت العوادي من جديد على الجبال فانتزعت أخشابها على التوالي حتى عصرنا هذا لاستعمالها أما في بناء السفن او في صهر الحديد أو في صنع فحم الخشب ولم تكن يد الانسان هي العامل الوحيد على تدمير تلك الغابات بل جاءت الماعز ضغثاً على ابالة فهي من ألد أعداء الغابات لانها تفني ما يقع في طريقها من الكلأ والعشب دون رأفة فليس من الميسور والحالة هذه نمو أي نبات كان ما دام الغنان مطلقاً لذلك الحيوان

والغابات الجديرة بهذا الاسم الباقية حتى الآن هي غابات اسكندرونة وتوز وبسيط والضنية وعكار (وتقدر قيمة الاخيرين بثمانين مليوناً من الفرنكات) وغابات الهرمل واهدن وبشري والباروك وجزين وحمص وحماة وحاصبيا وعجلون

وقطانة وتحتوي على البلوط والصنوبر والبطم والجوز واصناف اخرى من أشجار اقل قيمة . وما زال باقياً بعض غابات حديثة العهد في الاراضي المتوسطة الارتفاع وينمو فيها على العموم شجر الصنوبر ويبلغ عمرها نحو الستين عاماً ويعزى غرسها الى رستم باشا متصرف لبنان واما غابات الصنوبر في بيروت فهي أقدم عهداً يرجع غرسها اولاً الى القرن الرابع عشر

وقد اتلف أبان الحرب العظمى غابات يعز وجودها وذلك بفعل الجيوش التي توالى احتلالها للبلاد وتقدر مساحة الغابات الحالية في سوريا بنحو ١٠٠٠٠٠٠ هكتار على ان هذا التقدير يلوح حقيراً جداً بمقارنته بمساحات الاراضي الجبلية التي تربو على مليون هكتار .

ان منافع الغابات معلومة فمنها يقتطع الناس بثمن زهيد ما يلزمهم من الاخشاب لبناء دورهم وسفنهم ولصنع اثاثهم ولوقودهم وللاستفادة منهُ في صناعاتهم المختلفة وان ما تقتصدهُ سوريا ان هي انتفعت في المستقبل بغاباتها ليبلغ ١٥٠٠٠٠٠ جنيه مصري في السنة وهو قيمة ما تدفعهُ الآن لاستيراد الاخشاب المتنوعة من الخارج

وللغابات مزية اخرى غير ما سبق ايرادهُ هي تخفيف وقع الامطار والسيول المفاجئة بمنعها الماء المتساقط من جرف وجه الارض وبحفظها بعض الماء فوق الارض بدل تدفقهِ في منحدراتها وبسماحها لجزء آخر منهُ ان يتغلغل ببطء في باطن الارض ليزيد في تصرف العيون والانهار وقت الصيف فيربح من جراء ذلك المزارعون لتوافر الماء لهم في فصل القيظ مما يعينهم على توسيع نطاق زراعاتهم

وفوق ما تقدم فان الغابات تكسو البلاد الجبلية حلة فاخرة ذات منظر رائع يأخذ بالالباب كما انها تعدل الهواء وتنقيهِ . وسرطان ما يقصدها السيَّاح من الاجانب وبذلك يتعاظم ربح اهل البلاد فيلزم والحالة هذه أن تأخذ الحكومة والاهالي على عاتقها دون توانٍ اعاء الغابات في سوريا حتى لا يظل ساحلها الرملي وجبالها جرداء كئيبة المنظر وحتى تغشى جميع الاماكن التي لا يمكن تحضير تربتها للزراعة كما انهُ يجب ان يدفع عن الغابات الموجودة الآن غائلة المعز وشطط قاطعي الاخشاب في عملهم . وانَّ فتح مدرسة لتعليم الاحتفاظ بالغابات لكفيل بتنظيم الجهود المبذولة في هذا السبيل كما فعلت فرنسا في جبال البرنيز لاعادة غاباتها

(١٦) النجارة الدقية

سلف ذكر استعمال خشب الغابات في اوجه مختلفة منها الصناعات ونخص من بينها النجارة الدقية ولاسيما ما يتم منها في دمشق التي حذقت صنع الاثاث من الخشب المطعم وعلى العموم فان كل ما تبيعهُ حوانيتها من تلك الادوات يبلغ من الاتقان وحسن التنسيق حدًّا لا يظن معهُ ان معظم مخرجيها الى حيز الوجود أميون لم يدخلوا مدرسة الاَّ الدكان الذي تلقَّنوا فيهِ المهنة. وقد تفوَّق الدمشقيون ايضاً في صنع الاواني النحاسية المنقوشة. وانا لا يسعنا في هذا البحث الا ان نولي احترامنا لصناع دمشق لما أوتوه من نبوغ ومهارة مما يشرفون بهِ ذكر بلادهم وينبغي للحكومة ان تنشىء مدرسة للفنون والصنائع في عاصمة الخلفاء للاحتفال بتلك المهن وترقيتها ولصون تلك الفنون التي فطر عليها صناعنا فهناك يرد شبابنا الحديثو العهد بها منهلاً غزير العلم يستوعبون منهُ سريعاً لما هم عليهِ من حدة التصور وقوة الاستنباط

(١٧) صناعة الورق

من الصناعات التي عمادها خشب الغابات عمل الورق وهو يرد الآن الى سوريا من الممالك الاوربية المختلفة بسائر انواعهِ من ورق الخطابات وورق الصحف وورق الحرير وورق الزخرفه وورق السجائر والورق المقوى والورق الجلدي وتزيد قيمة ما يرد سنوياً من الورق على مليون ونصف مليون من الفرنكات

مشى على بيروت ردح من الزمن امتازت فيهِ باحتوائها على اول مصنع للورق في الممالك العثمانية وقد استطاعت في ذلك مكافحة المزاحمة الاجنبية فكانت تخرج جميع اصناف الورق الاَّ ان الشقاق دب بين مالكي المصنع فكان ذلك كما أشيع هو سبب انقطاعهِ عن العمل

يجب ان تبعث تلك الصناعة من رمسها دون ابطاء فانها نجحت فيما سلف رغم استعمال الفحم الباهظ الثمن وقوداً لآلات مصنعها ولا شك ان انشاء معمل آخر جديد في منطقة ذات غابات لمشروع مثمر وهو يوفر على البلاد ما تنفقهُ في الخارج لشراء الورق. وأفضل الاماكن لتشييد معمل ورق هو منطقة الضنية (قرب طرابلس) وهي ذات غابات ويخترقها النهر ففيها تتوفر المواد الاولية التي يقل ثمنها واجرة نقلها الى الحد الادنى وهناك ايضاً تتيسر القوة المحركة بثمن بخس ان استعمل ماء

النهر في توليدها . فكل هذه المزايا الاقتصادية يجدر أن تدفع الممولين الى القيام بذلك المشروع والبلاد في اشد الحاجة اليهِ . ومن وجهة اخرى نجد ان نواحي انطاكية وحلب تصدر من عرق السوس كميات كبيرة الى اميركا حيث يستقطر هذا النبات لكثرة طلب عصيرهِ في كثير من العقاقير الطبية ثم يحفظ ما يتخلف بعد ذلك لاستعمالهِ في صنع الورق . ويجدر بسكان سوريا الشمالية ان ينسحوا على منوال الاميركيين في انهاض هذه الصناعة المزدوجة التي تصبح مصدراً جديداً لاثرائهم

(١٨) صناعة الحبال

على ساحل البحر بين صور واسكندرونة بضعة خلجان ومرافىء مختلفة السعة ترسو بها السفن الوطنية والاجنبية المستعملة للنقل البحري ومهما كان حجم تلك المراكب فهي لا بد وان تجهز بالحبال اللازمة لقلاعها ومراسيها ثم ان سكان تلك السواحل وجلهم من سيادي الاسماك في حاجة دائمة الى الشباك والحبال لممارسة مهنتهم . واستهلاك تلك الاشياء ينبغي ان يكون كثيراً ما دام ساحل البلاد آهلاً بالسكان وممتد على طول ٣٥٠ كيلو متراً

والمادة الاولية الاكثر ملاءمة لصناعة الخيوط والحبال هي الكتان وتفلح زراعتهُ في دمشق وحلب حيث كانوا يصنعون منهُ حبالاً يصدرونها الى القسطنطينية وبغداد اما الآن فاوربا تصدر الى سوريا كميات عظيمة منها يمكن الاستغناء عنها اذا جهزت مصانع سوريا بكل ما ينقصها من الادوات

(١٩) صناعة العطور

تنمو في سوريا أزهار شتى يستخدم بعضها بنجاح في تحضير الروائح العطرية والعقاقير وقد سبق ان كانت عطور سوريا المستخرجة من زهورها ذائعة الصيت يكثر التهافت عليها في أسواق اوربا والهند والصين وقد انحط شأن هذه الصناعة الآن بسبب المزاحمة الاجنبية ومع كلّ فما زالت بعض المصانع في مختلف المراكز تعمل لاستخراج ماء الورد وعطرهِ لاستهلاكهما المحلي . ويوجد غير تلك المعامل الوطنية ثلاثة اوربية لاستقطار الزهور في بيروت وشتورة وصيدا . وفي بيروت أيضاً معمل للمحضرات الكيماوية والعقاقير الطبية ويعالج السقمونيا والصمغ والعصارات الاخرى ويجهزها كثار عدد تلك المحال في جميع الانحاء لان ما تصنعهُ يباع في الخارج بأثمان حسنة ستأتي البقية ادمون بشاره المهندس